Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أعمدة الزاوية) لهنري ميشو. ومن الواضح هنا أن الكاتبة تستغل حيّز المكتبة بوصفه حيّزا روائياً ثرياً، وتستثمره استثماراً فنياً موفقاً. ومن اللافت للنظر أن مصير الطرف الثالث في علاقتي الحب كلتيهما، في الروايتين، كان الموت، فقد مات (زياد) في لبنان، ومات (عبد الحق) في الجزائر. ومن المثير للانتباه أن كلا القطرين عانى أويعاني من حرب أهلية يقتل فيه المواطن أخاه المواطن، وكذلك لانزال نتذكر أن (خالداً) في ((ذاكرة الجسد)) قد أراد أن يدرّب صاحبته (كاترين) الفرنسية على الحرمان رغم هتاف الشهوة، وهاهو ذا في ((فوضى الحواس)) يكرر الفعل ذاته مع (حياة)، إذ يطلب إليها أن تتعلم الحب مع الحرمان، وأن تكون مخلصة، ليس له، بل للحقيقة التي يروم أن يفهمها من بين السطور: أن تكون مخلصة للوطن وللتاريخ وللذاكرة. هل نقول: إن الدوائر التي كانت ترسم هناك، راح القلم من جديد يعيد رسمها هنا، ولكن ليملأها بأشياء أخرى جديدة؟. أو أن الفنان يرسم لوحة تشكيلية واحدة، ثم يعاود في المرات التالية رسمها من جديد بفروقات طفيفة؟! ولكنّ الإيقاع الأقوى تمثل بالتحدي بالكتابة والأنوثة. فثمة واقع يعادي هاتين الظاهرتين لأن الكتابة تفضح وتؤرخ وتفلسف، ولأن الأنوثة تخنع وتستلم وتسلّم. وها نحن أمام عمل فني يعاند الواقع، ويتحدى أعداء الكلام فيه، فيكتب ويفضح، وبطلته تحب، وتعشق بجرأة، قلما قرأنا مثيلا لها في إبداعنا الروائي المعاصر. ولقد كتبت (مستغانمي) تقول مرة ماخلاصته: إن الأصعب هو أن تأخذ الكتابة مأخذ الجدّ دون أن تأخذ نفسك مأخذ الجد .. أن تكون كاتباً دون إضافات، لاكاتباً ثورياً، ولا رجعياً، ولا كاتب مناسبات ، بل كاتب فقط، فعظمتك في ألا تكون أكثر من ذلك . والأكثر صعوبة هو أن تكون كاتبا جزائرياً تنتمي إلى وطن يرفض أن يبقيك على مسافة وسطية من الأحداث ، تلك المسافة التي تلزمك للرؤية ويرفض بقاءك في حالة الصمت الذي يلزمك للكتابة ويرفض انحيازك للحبر في زمن عليك أن تنحاز فيه للدم- (مجلة النهج ع ٤١ لعام ١٩٩٥ص ١٧٠-١٧١)

ز - الخاتمة:

وهكذا نرانا أمام أثر روائي امتلك رؤية وطنية، ولبس لبوساً فنياً، وتنزل تنزلاً شعريا، عوّض فيه رقيُّ اللغة، عن فقْر الحدث، وقام مقام الأفعال فيه، المناجياتُ والتأملات والاستبطانات وأعمال الذاكرة، التي شدّتْ وأمتعتْ...

إنه عملُ كاتبةٍ مثقفة كان هاجسها مصير وطن يتمزّق، ومآل بلادٍ تتحرّق،